

إهمالات البلاغة الجديدة

محمد فنّان
المملكة المغربية

الملخص:

يدرس هذا المقال أبرز صور للتجديد التي جاءت بها البلاغة الجديدة مع شايم بيرلمان. ويركز على الجهود التي بذلها في سبيل إقامة بلاغة مغايرة ترتبط بالحياة المعاصرة، ولا تلغي الإرث الأرسطي. وقد جاء المقال عارضا هذه الصور التجديدية في صيغتها البرلمانية. غير أن مشروع بيرلمان، وقد نظر إلى البلاغة بوصفها إمبراطورية، أهمل عددا من العناصر الجوهرية التي يتحقق بها الإقناع، ويبنى بها الحجاج. وهو ما جاء هذا المقال للتركيز عليه، وإظهار. ويأتي هذا العمل إلى جانب أعمال أخرى سابقة تم الانطلاق منها في بناء موضوع المقال، وتعميق تحليله. ونشير إلى أن ما أهملته بلاغة بيرلمان، هو ما جاء فيما بعد في مشاريع موالية، منها منجزات بلانتان، ومشيل مايير، روث، وغيرهم..

الكلمات المفتاح: البلاغة الجديدة، شايم بيرلمان، التجديد، الحجاج، الإقناع، الإرث الأرسطي.

مقدمة:

أعاد العالم الغربي بعث الدرس البلاغي من سباته، وربطه بالحياة اليومية. فبعد أن تعرضت البلاغة الغربية لردح من الزمن للإهمال، بل والنظر إليها نظرة سلبية بوصفها أداة للتلاعب بالعقول، والتحكم في الجماهير. جاء بيرلمان لعيد الاعتبار للدرس البلاغي في صورته الأرسطية. وعمل على تطويره لينسجم مع ما آلت إليه التحولات الاجتماعية التي عرفها العالم الغربي. وقد قدم بيرلمان، في عدد من المصنفات، مشروعاً للبلاغة الجديدة، ربطها فيه بالحجاج، والإقناع.

لم يتنكر بيرلمان في مشروعه الحجاجي للموروث البلاغي، ولا حاول التخلص منه، بقدر ما سعى إلى تطوير قراءته، وإعادة الاستفادة منه، دون الإذعان لمعطياته الفلسفية إذعانا يجمّد العقل، ويلغي خصوصية الباحث. من هنا، ظل أرسطو، بكل حمولته التاريخية، مؤثراً في البلاغة الجديدة، في صورتها البيرلمانية. وهكذا، تجسد طموح بيرلمان في الاستفادة من أرسطو بوصفه المحدد لعقل البلاغة، والمؤطر لاشتغالها، دون أن يظهر من أمكنه أن يتجاوز به بإبدال معرفي جديد، يظهر عواره، أو عيوبه.

وهكذا، نجد أن أهم ما تميزت به البلاغة الجديدة، أن أعاد، عبرها، شاييم بيرلمان النظر في الخطابة اليونانية، ورحلتها التاريخية، من الولادة في أحضان الديمقراطية، وما رافقها من أساطير¹ حددت مسار رحلتها، إلى الأفول، حين تحولت إلى بلاغة محسنات "لا تمس الجوانب الأخرى من البلاغة، بمفهومها العام عند أرسطو، أي أنها لا تهتم بمبمحي (الإيجاد (اجتلاب الحجج) والتنظيم (تنظيم أجزاء الخطبة)، لذلك تحول المركزي في البلاغة القديمة إلى الهامش² حتم على الحدث الحجاجي الدخول في مرحلة من الجمود، إذ لم نقل القتل، مما دعا إلى التدقيق في التمايز القائم بين التصورين الأرسطي والاختزالي³، ومن ثم وضع "تراتبية بين الوجه البلاغي الحجاجي، وبين المحسن الفارغ من الحجاج، فالثاني ليس إلا زخرفة لا فعالية لها في الخطاب⁴ وبالتالي لا دور لها في حياة الإقناع.

وهكذا، كان أول إجراء يقوم به بيرلمان هو الفصل بين الاستدلالات التحليلية (التي درسها أرسطو في كتابه: التحليلات الأولى، والتحليلات الثانية ((1^{ère} et 2^{ème} analytique)، والمتعلقة بالمنطق الصوري) وبين الاستدلالات الجدلية التي درسها في كتب أخرى (مما يدل على تفريقه بين هذين النوعين من الاستدلالات) وهي الجدول (Les Topiques)، والخطابة (Rhétorique)، والتفنيدات السفسطائية

¹ جيمس كروسوايت، البلاغة والعنف، ترجمة أحمد الشيمي، مجلة فصول، مرجع مذكور، ص: 107.

² محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 73.

³ L'empire rhétorique

⁴ الحسين بنوهاشيم، نظرية الحجاج عند شاييمبيرلمان، دار الكتاب المتحدة، ط1، 2014، ص: 32.

(Les refutation sophistiques)، وهي الكتب التي تجمع نظرية أرسطو في الحجاج¹ وتصوره للخطاب الإقناعي.

المقومات الخارجية:

1- الإيتوس:

نظر بيرلمان إلى الخطاب بوصفه محدد "السياق الأكثر قيمة لتقدير معنى وحمولة إثبات ما، لاسيما عند عدم ارتباط الأمر بملفوظات واردة في نسق قد تزيد صرامته أو تقل، حيث يكسبها موقعها ووظيفتها في النسق معايير كافية للتأويل"² وذلك راجع إلى "الانطباع الذي يمنحه الخطيب عن ذاته بواسطة أقواله"³ أو ما يظهر عليه أثناء الإلقاء.

2- اللوغوس:

ربط بيرلمان اللوغوس "بدراسة الآليات الخطابية الممكنة من إحداث مساندة للأطروحات المستهدفة للقبول بها، أو زيادتها في الأذهان"⁴ من حيث القوة الموصلة إلى "الحجاج المؤثر، ذلك المتجه إلى مستمع خاص، وبالإقناع المصوب نحو كائن عاقل، فالفرق دقيق، ورهين بمفهوم الخطيب للعقل أساساً"⁵ وبالسبل التي يقصد إليها ويحركها من الأداء الخطابي.

3- الباتوس:

عامل بيرلمان المستمع معاملة تجاوز فيها التصور الأرسطي إذ جعله متجاوزا للسياق الزماني والمكاني، غير قاصر على جهة دون غيرها، إذ " لكل ثقافة، وفرد، منظوره الذاتي عن المتلقي الكوني"⁶ غير الخاضع للعنصر التاريخي والواقعي إنه "ذلك الذي يحاول الخطيب التأثير فيه عبر حجاجه"⁷ ودفعه إلى "أقسام منظورات أو تمثلات تتعلق بموضوع معين"⁸.

المقومات الأسلوبية:

1- الحجج شبه المنطقية:

¹ المرجع نفسه، ص: 33.
² Traite de l'argumentation , p :426
³ L'empire rhétorique, p :127
⁴ Traite de l'argumentation, p :5
⁵ Ibid, p :35
⁶ Ibid, p :43
⁷ Ibid, p :25
⁸ Ibid, p :05

جعل بيرلمان الحجاج رهين البرهنة التي يطورها الخطيب، داعماً أطروحته بعدد من التبريرات، وهو "يتوجه إلى متلق محدد بهدف الإقناع"¹ بما يحدد دلالتها حسب المقام الذي تورد فيه، وتبعاً للحال الوجدانية التي يكون عليها المتلقي² ضماناً للإخضاع أمام التعارض الذي يصادف المحاجج، ويفرض عليه أحد الاختيارات³ بحمولاتها الدلالية والتأويلية.

2- الحجاج المؤسسة على بنية الواقع:

هي مجموع ما يسهل الانتقال من الواقع إلى ما نريد جعله واقعاً، "بمجرد ما يتم الجمع بين عناصر من الواقع في علاقة معترف بها، يصبح من الممكن أن نؤسس عليها حجاجاً يسمح بالمرور مما هو مقبول إلى ما نسعى لجعله مقبولا"⁴ إما عن طريق ربط ما يتحد في مستوى محدد، وإما ما يتميز بالتفاوت، وفق ما يسمح بتحريك المستمع، وجعله يقبل ما يعرض عليه من مواقف.

3- الحجاج المؤسسة لبنية الواقع:

تنطلق هذه الحجاج من افتراض وجود علاقة بينها وبين واقع تسعى لإثباته، اعتماداً على وضعيات محددة مسبقاً، إما لتوضيح الوضع الخطابي، وإما لتأويله بما يناسب سياق القول، بوصفه "يشكل أحد مميزات التواصل والاستدلال غير الصوري"⁵ بما يجعله غير قابل للنقض والإلغاء⁶ بليمدد الحدث الحجاجي، ويغنيه بإبراز بعض القضايا، التي يسعف في إبرازها في نص الكلام.

المقومات الاستدلالية:

1- المقدمات:

تعكس المقدمات/ المسلمات، قدرة الخطيب الحجاجية، عبر تشكيلها بما يوافق حال المتلقي، لنقله إلى التسليم والإذعان من خلال ما يؤمن به، ويمثل مرجعيته الفكرية⁷، المرتبطة بالواقع، فيعمل الخطيب على "تصنيف هذا المعطى الملموس أو ذاك باعتباره واقعاً"⁸ ثم تحويله مع المعطيات المتفق عليها، كي تأخذ صيغة الحقيقة الموضوعية، وإدخالها في باب المشترك

2- الاختيار والترتيب:

¹ L'empire rhétorique, p :19

² ..Ibide, p :86

³ ..Ibide, p :70

⁴ ..Ibide, p :95

⁵ ..Ibide, p :127

⁶ ..Ibide, p :128

⁷ .Traite de l'argumentation, p.pm89-90

⁸ ..Ibide, p :89

يفترض في المتكلم، وهو يمارس العملية الحجاجية أن يختار ما يلائم موضوعه من المقدمات، مع عرضها في الخطبة عرضاً خاضعاً للترتيب الذي يضمن لها الإقناع و"أفضل شحذ للعزيمة"¹ فالعناية بمسألة الاختيار، يضمن جعل الخطاب يكتسب مشروعية في وعي المتلقي وحضوراً في حياته الذهنية.

3-التأويل:

يعد تأويل معطيات الخطاب ومحمولة، من أهم ما على الخطيب مراعاته في خطة بناء خطبته، مع الاهتمام ب"الضرر التي تحكم الاستعمال، التحكم الاجتماعي المتعالي"² التي يمكن أن تصاحب عرض الخطبة، كما لو أن اللغة لا تتوفر على معنى أصلي، وأن ما يطرح خارج الخطبة لا يعد وأن يكون مبتذلاً، وبلا قيمة³ لاسيما وأن العبارات لا تملك معنى واحداً في الجملة، فكيف بها داخل السياق.

أبرز ما أثارته نظرية الحجاج في ثورتها البيرولمانية، هو فتح الممارسة الحجاجية على أجناس القول، مع إكسابها للصيغة الجدلية التي أسعفتها في أن تبلغ من الاتساع ما يؤهلها لتصير إمبراطورية متزامنة الأطراف، تنكب على "دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم"⁴ دون أن تقتصر على جمهور محدد، كما هو حال الخطابية الأرسطية، مع إعادة الاعتبار إلى "القيمة الحجاجية لقول ما، (إذ) هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميهِ واستمرارهِ"⁵ في الأحوال الخطابية التي تكون فيها في موضع تشكيك وطعن، بينما المجال مفتوح على مسألة الاحتمال، وتعدد الآراء، مع تدوير اليقينية الديكارتية، وهدم العقلانية التي أنبت عليها، وفي هذا فسخ للمجال أمام عنصر الاختلاف، بعيداً عن "لغة الأهواء والعواطف، والهوى (الذي) يحرف زاوية النظر إلى الأشياء، ويلجئ إلى عبارات خاصة"⁶ تعكس "انعدام يقينيات السلوك (ماذا علي أن أفعله؟ أفعل هذا أم ذاك؟)، والقراءة العسيرة لما يبعث به الآخر من "علامات"⁷ لا تلقى أي تفاعل، أو ر

صحيح أن بيرلمان عمل جاهداً على إعادة دمج الخطابية بالجدل، كما أنه فتح الممارسة الحجاجية على مصراعيها وجعلها قادرة على التفاعل بين المنتج والمتلقي، إلا أنه "عمد إلى الخطابة القديمة

¹ L'empire rhétorique, p : 49

² فلسفة البلاغة، ص : 81.

³ L'empire rhétorique, p : 58

⁴ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط 11، ص 13.

⁵ أبو بكر العزاوي، الحجاجي والمعنى الحجاجي، ضمن، التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 134، ص 56.

⁶ البلاغة القديمة، ص : 162.

⁷ المرجع نفسه، ص 162.

وأخضعها لعملية بتر عضوين من أعضائها الأساسية¹ وقد قامت عليهما قبلا، في عهدها الأرسطي، "أقصد بهذا إلى الأهواء Pathos، عند المتلقي والطبائع Ethos عند الباث"² ولاشك في أن السبب في ذلك يرجع لطموح الصيغة البرلمانية للحجاج، إلى بسط مجال الدراسات الحجاجية، هذا البسط الذي كلفها الإنزواء في "المبحث الأول الذي يتألف في صيغته الأرسطية من عناصر حجاجية متفرعة إلى حجج اللوغوس والإيتوس والباتوس"³، بل إن الخطابة الجديدة اختزلته في اللوغوس"، عبر إبطال العناصر العاطفية الإيتوسية، والباتوسية⁴ التي لا تحضر إلا حضورا طفيفا.

وإن كان البعض قد ألح على حضور الإيتوس عند بعض الدراسين⁵، فهو لا يضيف جديدا إلى التصور الأرسطي، ولا يحتل ما ناله مبحث الحجج نفسه، ضمن التقنيات التي يمكن أن يستعملها المتكلم في بناء شخصية معينة⁶ دون أن تقدم "حلولاً للقضايا السياقية مثل السمعة السابقة لأنها خارجة عن الفن"⁷ الحجاجي داخله في اختصاصات أخرى متاخمة للنظرية، ولعل السبب في هذا الإهمال المقصود، من قبل بيرلمان يرجع إلى الرغبة في "التقرب أكثر من المستمع الكوني، (إذ) لم تعد الخطابة هنا هي خطابة الدهماء، فقط والخطابة الشفوية الحشودية في الساحات العمومية"⁸ كما كانت مع أرسطو.

وعليه، فإنها "خطابة الخطاب القانوني والفلسفي واللاهوتي والأدبي"⁹ بالإضافة إلى "تغليب للمكتوب على كل حال، وتغليب المكتوب يعني تقديم الممارسة العقلية"¹⁰ ومعالجة الخطابية الأرسطية من "زاوية هموم عالم المنطق"¹¹ وبوضع الحجاج في "سياق منازعة المنطق الصوري في استنباط المعرفة تصبح"¹² النظرية الحجاجية مبحثا فلسفيا صرفا، يخوض "في مجال القيم بمجرد تعطي معنى للوجود الإنساني"¹³ والمتعارف عليه من المعاني المشتركة بين الناس، "ويمكن وراء هذا الإجراء عدم إيلاء أهمية كبيرة للمحافل الخطابية في مقابل الامتداد إلى المحاجة الخاصة مع شخص واحد، أو حتى مع الذات، يتداول المرء مع نفسه حول الـ "مع" و "ضد" الاختيار مدى قيمة أطروحة وصلابة حجة"¹⁴ وفي المقابل

¹ محمد الوالي، الطريق نحو البلاغة والخطابة الجديديتين، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع10، 2017، ص:48.

² المرجع نفسه، ص 48.

³ المرجع نفسه، ص 49.

⁴ المرجع نفسه، ص 49.

⁵ محمد مشبال، منزلة الإيتوس في البلاغة الجديدة، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع10، 2017، ص 105.

⁶ المرجع نفسه، ص 109.

⁷ المرجع نفسه، ص 109.

⁸ محمد الوالي، الطريق نحو البلاغة والخطابة الجديديتين، ص 48.

⁹ المرجع نفسه، ص 48.

¹⁰ المرجع نفسه، ص 48.

¹¹ Ch. Pevelmane, le champ de l'argumentation, PV.de Bruxelles, 1990, p13.

¹² محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التحييل والتداول، ص 68.

¹³ المرجع نفسه، ص 68.

¹⁴ محمد العمري، أسئلة البلاغة، ص 67.

"فقد اعتبر كلا من الأداء والتذكر عنصريين خارجيين عن الموضوع المقيد بالتحليل، أي النص، هكذا اعتبر "الموسيقى والإشارة والعدوى الانفعالية للحشود والمشهد والأداء المسرحي" عناصر من ((التهيئة التي لا نستطيع الإحاطة بها))¹ إما لشساعتها، لاسيما مع ما تعرفه من زخم إنتاجي، وإما لخروجها عن دائرة الاهتمام والتجديد.

علاوة على أن نظرية الحجاج الجديدة، قد أبلغت من حسابها أربع مقومات حجاجية عرضها أرسطو في خطابيته، أغفلت الرؤية البرلمانية للحجاج، "ما يوضح مبدأ أساسيا: لا يمكن دحض خطابة إلا بخطبتها الخاصة، إلا بخطابة أخرى"² خصها التصور الأرسطي بالعناية الكبيرة في "التبكيّات"، و"الطوبيقا"، ناهيك عما ورد في "الخطابية"، فقد أكد برلمان، وتلامذته من بعده³ أن الحجاج يعم كل الخطابات، و"تستوعب كل شيء، ولم تعد تتعارض مع أي مفهوم مجاور، وتحتوي كل القول، كفت عن أن تكون فنا Techné (خاصا) وصارت ثقافة عامة"⁴، تقارب أجناس القول، قديما وحديثها، وتجاوز الكوني، متناسبة افتراضها "أن الحقيقة قابلة للتحصيل عن طريق الكلام، أي "قابلة لأن يتلفظ بها".

علينا، ضمن هذا السياق، أن نشق بما قد يكون للكلمات من قدرة على الإلصاق بالأشياء، وتقلد الطبيعة، فالأشياء تتكشف أمام الإنسان بفضل الكلمات التي تنفذ إلى جوهرها. إن الكلام يوحى بشيء ما، سواء كان هذا الكلام علميا أو شعريا، فالكلمات والأشياء تشترك بمجموع علاقاتها المتناغمة، في تكوين الحقيقة⁵ التي يرمي الباحث إلى إثباتها، بين يقتضي فعل التواصل مع الكونية، والانفتاح على العلوم الإنسانية، ناهيك عن الحققة المتاخمة التخلي عن شرط الإقناع وتصور وجود القابلية الحجاجية، بل "على العكس من ذلك، فإن فعل التواصل يعني إعطاء الأسبقية للعلاقات بين-إنسانية، والسعي إلى استكشاف منعرجات الآليات النفسية، وبالتالي تأخير مشكلة المعرفة الحقيقة إلى الدرجة الثانية، فالتواصل يعني تقديم الوجود على الجوهر، أي إنشاء خطاب يدمجها في الحياة، ولكنه يعني في الوقت نفسه الاستعداد لقبول الطلاق المؤلم بين الكلام والحقيقة"⁶ لا البحث في ما "يجتذب الانتباه ويحافظ عليه، ويوضح المفاهيم، ويسهل التذكر، ويحفز على بذل المجهود"⁷ بما يضمن تكريس حقيقة المتكلم، وبالتالي إلغاء أحقية الآخر.

¹ محمد الوالي، الطريق نحو البلاغة والخطابة الجديتين، ص 52.

² مدخل إلى الخطابة، ص 131.

³ نخص بالذكر ميشيل مايير، Histoire de la rhétorique, des grecs à nos jours, livre de poche, 1999.

⁴ البلاغة القديمة، ص 58.

⁵ أرون كيبيديفارا، البلاغة وإنتاج النص، ترجمة وتقديم محمد العمري، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع10، 2017، ص17.

⁶ المرجع نفسه، ص 17.

⁷ مدخل إلى الخطابة، ص 132.

تنطلق الخطابية في صيغتها، الكلاسيكية والجديدة، من مبدأ وجود قصدية إقناعية يروم الباحث تحقيقها لهذا كانت "مجموعة من التقنيات التي تسمح بوصف (عملية) إنتاج الخطابات والنصوص وإعادة بنائها"¹ بما يخدم البعد الحجاجي بوصفه جوهر ما تنبني عليه، و"فيما يخص معاني الكلمات الباقية وكذلك وظائف اللغة التي نستطيع أن نميزها أو نفرضها على المعنى المجرد، كما يصدق أيضا فيما يخص الشعر وإذا كان موجودا، الذي أكنه نحو الموضوع الذي أتحدث عنه"²، وفيما يتعلق بالاستجابة لها، فقد كانت النظرية الحجاجية تدعي، السعة، وهي لا تعني إلا سعتها في بسط الحديث عن الوظيفة الحجاجية في الخطاب، والتي ليست بالضرورة حاضرة في متنه.

يمكننا القول بعد هذا العرض، غن الخطابة الجديدة، في دعوتها إلى الامتداد، والتوسع، والرحابة، أو ما شئنا من العبارات المنمقة، لم تستطع، وهي تقارب أنواع الخطاب، لاسيما الإبداعي منها، أن تفصل بين بنية الرسالة، بوصفها معطى جماليا، مما أوقعها، بالضرورة، في عجز حقيقي عن محاورة النصوص، خارج الصيغ الإقناعية المتعارف عليها، وبما يحفظ نسقها، رغم المجهودات الحثيثة التي تنحوها النظرية في إثبات شرعيتها النظرية ومشروعيتها التحليلية، وهو ما يعود إلى استنادها "أساسا إلى الميتافيزيقيا وإلى تصورهما التقليدي حول مفهوم الحقيقة باعتبارها تجسيدا لمبدأ التطابق والتوافق الكلي بين اللفظ والمعنى، بين التصور والشيء"³ مما يحتم عليها، بوصفها مؤسسة ميتافيزيقية، أن "لا تنظر إلى اللغة إلا كوسيلة تعبير"⁴ وتوصيل يحمل بين طياته قصدية معينة، ترجمتها الخطابية بالحجاج".

ومعنى ذلك، أن الكتابة ليست مجالا لإنتاج المعاني، فهي مجرد جسم تقطنه روح النص، فإن (الخطابية) قد ساهمت في تكريس مفهوم المطابقة باعتباره ذلك التوافق بين اللفظ ومعناه المحصور في الدلالة على الأصل، وليس من دور الكلام سوى الكشف عن هذه المعاني الخفية، وهنا يغدو الدليل وسيلة لاستحضار المدلول القائم في الذات"⁵ التي يصير دورها التعبير عنه والدفاع عليه، وبالتالي تقييد القول فيما لا يتجاوز منطق الاختلاف.

كان بيرلمان، كما أشرنا متعمدا "إبعاد الجوانب السيكلوجية التي استأثرت بالجزء الثاني من كتاب أرسطو الخطابة، وأقصد بذلك مجمل المباحث المتعلقة بنوازع الباحث والمتلقي والأخلاق تبعا للأعمار والجنس والأوضاع الاجتماعية"⁶ ناهيك عن تجاهل "ترتيب الخطابة، أي ترتيب وحداتها النصية أو

¹ البلاغة وإنتاج النص، ص 18.

² فلسفة البلاغة، ص 55.

³ عبد العزيز بوسهولي، أسس ميتافيزيقيا البلاغة، تقويض البلاغة، مجلة فكر ونقد، ع 25، يناير 2000، ص 107.

⁴ المرجع نفسه، ص 107.

⁵ المرجع نفسه، ص 108.

⁶ محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو بيرلمان، ص 35.

الخطابية: التمهيد والإيجاز والمجمل والعرض والسرد والوصف والاستطراد والحجاج والدفاع والتفنيد والخلاصة، أو الخاتمة"¹ منكبا، بكامل جهده التنظيري، على عنصر الإقناع، دون التفات إلى "الجانب الأخير الذي لم يلق من بيرلمان العناية المستحقة هو ذلك المتعلق بالصياغة اللفظية أو اللغوية"²، أي ما يدخل في حيز الأساليب، في ارتباطها بمتطلبات الظروف، وسياق القول، الذي يعلمنا "كيف نستعمل الكلمات من الاستجابة لها، ومن ملاحظة طريقة استخدام الناس لها، ولكن كيفية هذا التعلم مسألة عميقة وتحتاج إلى سبر"³ يكشف هويتها الحقيقية التي يمكن للنظرية أن تحجبها، رغم "عنايتها" بما يمكن أن يحرك الذات، حين يتوجه إليها الخطاب، ويلفت انتباهها"⁴ بعيدا عن الحرية، قريبا من الدلالة على العنف المبطن، والتربية على النمطية يجعل الفرد يقر "أن المبادئ الكونية، وأن عدم احترام المرء لها- إخطاء السؤال المطروح والكتابة بطريقة غير صحيحة وتافهة، ومبالغ فيها، والخلط بين الدعوى والحجة، والغرض بطريقة مهمة، والاحتماء وراء كلام معاد مكرور- إنما هو دليل على الغمارة، وبتعبير آخر إنما هو انفصال عن الآخر وعن نفسه"⁵ بينما يظهر واقع الحال أن هناك "ثقافات أخرى غير " ما دعت إليه نظرية الحجاج الجديدة، وبالتالي تصورات أخرى أرحب للآخر، وعن الآخر، لا تراه قاصدا بالضرورة إلى إقناعي بدعواه، أو إفحامي بأطروحته، والانتهاى إلى الإجماع، وهو "ليس أمرا نستطيع غض الطرف عنه بغية تحصيل إجماع حجاجي مزعوم، في حين نفتقر في الواقع إلى مثل هذا الإجماع حتى في صلب العلوم الفيزيائية ذاتها"⁶، بل إن تقويض مبدأ الإجماع، بأساسه الخطابي يؤدي إلى "تبدد أدنى أمل في حفاظ العلوم على وجودها -خلافا لما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة -سمح لها على العكس من ذلك بانتفاضة جديدة، كما مكنها من تحقيق تطور باهر وبوتيرة أسرع"⁷ والأمر نفسه ينسحب على أنواع الخطاب، وتاريخ إنتاجها الذي لطالما كان متجاوز للمنطلقات النظرية والمعرفية التي تحكمه، علاوة على عدم التزامه بتميز الحقيقة، والتعبير عنها، وفي هذا تجاوز للتصور الحجاجي الجديد، وهو يفتح على غير المحفلي والقضائي والمشاورى.

نضيف إلى ما أتينا على ذكره، التأكيد على أن "إمبراطورية" الحجاج، وهي رغبة ملحّة تطمح الخطابية الجديدة مع بيرلمان إلى بلوغها غير تغطية حقل الاستعمال الخطابي للغة في كليته، مما يجعلها تهتم

¹ المرجع نفسه، ص 35.

² المرجع نفسه، ص 35.

³ فلسفة البلاغة، ص 59.

⁴ M. Meyer « introduction » Aristote, Rhétorique, ed, Livre de poche, 1991, p.33.

⁵ مدخل إلى الخطابة، ص 28.

⁶ مانفريد فرانك، حدود التواصل، الإجماع والتنازع بين هابرماس وليوتار، ترجمة وتقديم وتغليق عز العرب لحكيم بناني، أفريقيا الشرق، 2003،

ص 24.

⁷ المرجع نفسه، ص 24.

بترجيح القول في الدعاوى، وتغليب الحكم في المناظرة، تظل حبيسة الخطاب الاستدلالي في صورته الاحتمالية، مع البحث في ما ينطوي عليه الخطاب من إغراءات، تمكن الممارسة الحجاجية من غزو العقل العملي، ثم التحكم فيه، إنها بهذا، فن مقارنة الخطاب الفعال والمؤثر حجاجيا، والمتصل برغبة الباث في الوصول إلى رضا متلقيه، ودفعه إلى إنجاز شيء مرغوب فيه مسبقا.

تتميز الخطابية بوصفها إنجازية في جوهرها وتأثيرية، تنطلق من مسلمات مشتركة بين المتكلم والجمهور، لتبلغ في النهاية الإخضاع بالخطاب لموضوع الأفكار المسلم بها، مما يعكس خللا في الدعوة التي تقول بها، وميلا نحو إرضاء الذاتي، والانزلاق في التسامي الذي تتجلى فيه المراهنة على الحجاج، انطلاقا من المحتمل المتصف بالانقلاب من الإكراهات الاجتماعية التي يرد فيها، بينما "ليس بإمكانها أن تتسامى إلى درجة اندماجها في لامبالاة السجل الفلسفي الأصيل، وبطبيعة الحال ليست ساذجا كي يصل بي الظن إلى أن الفلاسفة لا يواجهون فقط ضغوطات معينة، بل يواجهون أيضا النزعة المرضية التي تلوث جدالاتنا، ومع ذلك يظل هدف المجال الفلسفي، إذا كان في مستوى ما أسميناه الجمهور الكوني، متعاليا على فن الإقناع والإمتاع في أشكاله الأكثر إخلاصا والمتمثلة في الأوضاع النموذجية النمطية"¹ دون طموح إلى التمكن والسيطرة أثناء صناعة الكلام.

يمكننا القول، أيضا، إلى العودة إلى أرسطو، "يمكن أن تدرج (...) بكيفية طبيعية جدا، ضمن حركة العودة الكبيرة التي يحس فيها الراهن (الإعلامي) بالعجب بنفسه إذن ليست (الخطابية) الجديدة، وكالفلسفة الجديدة والرومانسية الجديدة، سوى الملقب الإشهاري الذي يتم في ظله الاستماع إلى المخزونات العتيقة للمثالية الإنسوية (Hermaniste)"² إلا أن العودة النظرية كانت متسمة بالاختزال الذي يتخفى خلفه نزوع إيديولوجي "يقترح علينا المعرفة القديمة- باعتبارها تشكلا مغايرا لتشكلنا المعرفي - كيفية أخرى لتنظيم لعبة الخطاب: إشكالية متنافرة مع إشكاليتنا:

كما يمكننا القيام بمراجعة نقدية لإشكالياتنا الخاصة"³، وما ذلك في واقع الأمر إلا "ثمن الانتقال إلى اللسانيات: أول "علم إنساني" ارتقى إلى مرتبة العلمية، وسيقال إن علم اللغة تكون، ضبطا، من رفض *pronuntiatio* أو *actio* وهذا مغزى العبور من علم الأصوات *phonétique* إلى الصوتيات *phonologie* ومن الـ "*memoria*" (وهو مغزى أولوية التركيبات على الدلائل) ومن الـ "*disposito*" (وهو معنى أولوية الجملة على الحديث *l'énoncé*) ومن « *Inventio* » (وهذا مغزى أولوية تحليل

¹ بول ريكور، البلاغة، والشعرية، والهيرمينوطيقا، ترجمة مصطفى النحال، مجلة فكر ونقد، ع16، فبراير 1999، ص 110.
² بيير كوينتر، نسيانات البلاغة الجديدة، ترجمة محمد البكري، مجلة فضاءات مستقبلية، ع 2-3، 1996، ص 71.
³ المرجع نفسه، بتصرف، ص 73.

الشكل على تحليل المحتوى)¹ بما سيرز "الاختزال إلى l'élocutio" أثرا لتركيز تحليل الخطاب على العلم الصارم الذي يفتح له الباب نحو العلم²، وما هي "رؤيا مثالية تناقضها -حسبما يبدو- لي- الأزمة التي تعانيها حاليا -اللسانيات وتحليل الخطاب"³ وحين وجدت نفسها ملزمة بإعادة إدماج الذات المتكلمة (الإنجاز) مما "يفضح هشاشتها ولا يؤكد مطلقا على قوة النظرية"⁴ الحجاجية الجديدة، وسرعتها إلى الشكنة خارج ما "كانت عليه، في الجهاز القديم، العمليات المضبوطة والمحددة في الأقسام المنسية"⁵ لتصير أمام مواجهة حقيقية لاختيار موضوع التحليل، "وهو لا يفعل شيئا، هنا، سوى تكرار طريقة نعرفها جميعا، لأننا مارسناها"⁶ وتحققنا من نتائجها، وقد أضحت مفترضة، إن لم نقل معروفة، بينما "تحليل اشتغال الخطابات يفترض دراسات ل"شروط إنتاجه الأحاديث وتداولها واستهلاكها"⁷ بما يضمن تماسكها، ويتيح انفتاحها على ما لا حصر له من التأويلات وأنواع الفهم القابلة للرفض كما للقبول على مر التاريخ، وفق شروط القراءة التفاعلية المنتجة، ذات البعد العلمي والكويني.

خاتمة:

هكذا، أهملت البلاغة الجديدة قسما مهما من البلاغة الأرسطية، غير أن هذا الإهمال هو ما سيمهد لظهور مشاريع بلاغية مغايرة، تقدم جديدا مختلفا عما جاء به بيرلمان، وتفتح آفاقا متنوعة للاستفادة من البلاغة في الحياة المعاصرة، يمكن التمثيل لها بما جاء به مولينو، وبارث، وروث، وفاركا، وبلانتان، وغيرهم من البلاغيين الغربيين المعاصرين ممن استفادوا من تطور الدرس اللساني، والعلوم الإنسانية في سبيل تحويل البلاغة من نظرية في الإقناع والتأثير، إلى منهج في التواصل والتفاهم. ونضرب مثلا على ذلك ما جاء به فليب بريتون في كتابه: الحجاج في التواصل، ويتطور أكثر مع فرانز فان إيمرن، وروب غروتندورست، في كتاب نظرية نسقية في الحجاج، المقاربة الذريعية-الجدلية.

¹ المرجع نفسه، ص 74.

² المرجع نفسه، ص 74.

³ المرجع نفسه، ص 74.

⁴ المرجع نفسه، ص 74.

⁵ المرجع نفسه، ص 75.

⁶ المرجع نفسه، ص 75.

⁷ المرجع نفسه، ص 77.

لائحة المصادر والمراجع:

- مانويل ماريا كاريلو، خطابات الحداثة، ترجمة إدريس كثير، عز الدين الخطابي، منشورات دارها بعد الحداثة، ط 1 2001
- آ.أ.ريتشارد، فلسفة البلاغة، ترجمة سعيد الغانمي، ناصر حلاوي، أفريقيا الشرق، 2002.
- أرسطو الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد للنشر، سلسلة الكتب المترجمة، 1980.
- أرسطو، كتاب الخطابة، ترجمه، وقدم له، وحقق نصوصه، وعلق على حواشيه، الدكتور إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950.
- أرسطوطاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، دار القلم، 1979.
- أفلاطون، جورجياس، ترجمة محمد حسن ظاظا، راجعها علي سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970.
- أفلاطون، في السفسطائيين والتربية، (محاورة بروتاجوراس) ترجمة، عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر
- أفلاطون، محاورة فيدرس، ترجمة وتقديم، أميرة حلمي مطر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
- أولفيروسول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبه، مراجعة حسان الباهي، أفريقيا الشرق، 2017
- باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009.
- برتراند راسل، حكمة الغرب ترجمة فؤاد زكرياء، عالم المعرفة، يونيو 2009، ط 2، ج 1.
- بوشعيب منصر، الشعر والخطابة بين أرسطو وابن رشد، أفريقيا الشرق، 2015.
- جعفر آل ياسين، فلاسفة يونانيون، من طاليس إلى سقراط، مكتبة الفكر الجامعي، منشورات عويدات، بيروت - لبنان، ط 1، 1971.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ط 1، ج 1.
- جيرار جنيت، مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمان أيوب، دار توبقال لنشر، ط 1.
- الحسين بنوهاشيم، نظرية الحجاج عند شايمبيرلمان، دار الكتاب المتحدة، ط 1، 2014.
- داود رفائيل خشبة، أفلاطون، قراءة جديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012.
- رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، عالم الفكر، ع 4، مجلد 36، أبريل يونيو 2008.
- رولان بارت، البلاغة القديمة، ترجمة عبد الكبير الشقراوي، نشر الفنك.
- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، عمر أوكان، أفريقيا الشرق، 1994.
- ضد البلاغة، تحرير كمال عبد اللطيف، دار العين للنشر، 2017.
- عبد الرحمن بدوي، منطق أرسطو، مطبعة دار الكتب المصرية، 1952.
- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، 2006.
- عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية، وتشكيلاته الأجناسية، دار نهى للطباعة، ط 1، 2013.
- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، ط 2، 2007.

- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط11
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن، الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم، علوي حافظ اسماعيلي، عالم الكتب الحديث، 2010.
- علي حرب، لعبة المعنى، فصول في نقد الإنسان، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1991.
- عيد الدحيات، النظرية النقدية الغربية، من أفلاطون إلى بوكاشيو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1.
- الفارابي، كتاب الجدل، ضمن، المنطق عند الفارابي، تحقيق رفيق العجم، وماجد فخري، دار المشرق، بيروت، 1985-1986.
- فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة، محمد صالح الغامدي، مركز النشر العلمي، جدة، 1432هـ.
- كريستيان بلانتان، الحجاج، ترجمة عبد القادر لمهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010.
- مانفريد فرانك، حدود التواصل، الإجماع والتنازع بين هابرماس وليوتار، ترجمة وتقديم وتغليق عز العرب لحكيم بناني، أفريقيا الشرق، 2003.
- محمد العمري، أسئلة البلاغة، في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق.
- محمد الوالي، الخطابة والحجاج، بين أفلاطون، وأرسطو، وبييرلمان، فالية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2020.
- محمد الوالي، سعيد الغانمي، عماد عبد اللطيف، صلاح حاوي، حوارات في معرفة البلاغة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1.
- الموسوعة الفلسفية، إشراف: م. روزنتال، وب. يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة-بيروت، ط 09، 2011.
- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمودي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية منوبة، دت.

الدوريات:

- أرون كيبيدي فاركا، البلاغة وإنتاج النص، ترجمة وتقديم محمد العمري، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع10، 2017.
- بول ريكور، البلاغة، والشعرية، والهيرمينوطيقا، ترجمة مصطفى التحال، مجلة فكر ونقد، ع16، فبراير 1999.
- بيركوينتر، نسيانات البلاغة الجديدة، ترجمة محمد البكري، مجلة فضاءات مستقبلية، ع 2-3، 1996.
- جيرارجنيت، البلاغة المقيدة، ترجمة الصديق بوعلام، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد السابع، صيف 1989.
- جيمس كروسوايت، البلاغة والعنف، ترجمة أحمد الشيمي، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، المجلد (26/1)، العدد (101)، خريف 2017.
- سونيا فوس، ما وراء الإقناع والتأثير، ترجمة محمد سمير عبد السلام، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، المجلد (26/1)، العدد (101)، خريف 2017.
- عبد العزيز بوسهولي، أسس ميتافيزيقيا البلاغة، تقويض البلاغة، مجلة فكر ونقد، ع25، يناير 2000.

- فيليب نيل، البلاغة الجديدة، ترجمة عوني العقيلي، مجلة النقد الأدبي، فصول، الهيئة العامة للكتاب، المجلد (26/1)، العدد (101)، خريف 2017.
- فينسنت كولابياترو، انعطافة . ت. س . بيرس البلاغية، ترجمة راشدة رجب، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، المجلد (26/1)، العدد (101)، خريف 2017.
- محمد الوالي، الطريق نحو البلاغة والخطابة الجديدين، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع10، 2017.
- محمد الوالي، المدخل إلى بلاغة المحسنات، مجلة فكر ونقد، ع17، مارس 1999.
- محمد مشبال، منزلة الإيتوس في البلاغة الجديدة، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع10، 2017.

المراجع الأجنبية:

- Ch. Perelman, L'empire rhétorique, Rhétorique et argumentation, librairie philosophique j. vrin, paris, 1977.
- Ch. Perelman, le champ de l'argumentation, PV.de Bruxelles, 1990.
- Ch. Perelman, Tetyca, traite de l'argumentation, 4eme édition, 1983, Edition de l'université de bruxelles.
- Histoire de la rhétorique, des grecs à nos jours, livre de poche, 1999.
- M. Meyer « introduction » Aristote, Rhétorique, ed, Livre de poche, 1991.
- Michel Meyer, la Rhétorique, que sais-je
- Olivier Reboul, La rhétorique, édition, que sais-je, ed,
- Platon, le sophiste, ed, Flammarion, Paris
- Vermant Jean Pierre, Mythe et pensée chez les grecs, Maspero, Paris